يقر المؤلف بأن فكرة وجود امة اسرائيلية جديدة في طريقها الى التكوين من المهاجرين والمستوطنين الذين وفدوا الى البلاد واضحة ولا اعتراض عليها من حيث المبدأ بصيغته العامة (ص ١٩٤) . كما يذكر ان هذا التكوين ليس بدعا في التاريخ ، فقد تكونت العديد من الامم الحديثة من النازحين والمهاجرين من كل بقاع الارض ومن مختلف الجنسيات واللغات مثل الولايات المتحدة الاميركية وكندا واوستراليا ... « وليس هناك ما يمنع بالطبع من حيث المبدأ ، من ان يحدث في اسرائيل مثلما حدث في غيرها بعد ان توفرت لها كل مقومات تكوين الامم ، وهي الارض المشتركة واللغة المشتركة بل وقد يكون التكوين النفسي والثقافة والمصالح المادية الواحدة » (ص ١٩٤) . ولكن من ناحية اخرى ، يشدد المؤلف ان واقعا اخر يفرض نفسه هو كون الوجود الاسرائيلي على ارض فلسطين جزء لا يتجزأ عن حركة الاستعمار الاستيطاني الاوروبي وانتماء الصهيونية الى الحركات القومية الرجعية الاوروبية الامبريالية « التي صنعت منذ اواخر القرن التاسع عشر كل مجتمعات المستوطنين العنصريين ، مجتمعات سيسيل رودس وامثاله » ليخلص الى نتيجة تقول ان « هذه القومية لا تؤيد بل تشجب ، لا تنمى بل تصفى » (ص ١٩٧ ، ١٩٨) . ويجد اديب ديمتري ان المخرج السليم من المأزق هو الحل الذي تقدمت به حركة المقاومة بدعوتها الى اقامة « الدولة الفلسطينية الديمقراطية للجميع كبديل عن الدولة العنصرية » باعتبار ان هذا الحل وحده « يخدم المصالح الحقيقية للشعبين العربي والاسرائيلي ولا يهدد في شيء مصالح اليهود الفلسطينيين ، لان تهديم اساس البنيان العنصري لا يعني بحال المساس بحقوق الشعب ذاته بل يعني فحسب الاطاحة بالنظام والطبقات ذات المصلحة في بقاء مثل النظام العنصري العدواني » (ص ١٦٥ — ١٦٦) . ان النقطة الهامة التي اهمل المؤلف مناقشتها هي كون التفسير السائد والمنتشر لشعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية لا يأخذ بعين الاعتبار المسألة القومية اصلا وينظر الى سكان فلسطين كتجمعات دينية مسيحية ويهودية ومسلمة فحسب . ولكن يبدو من اللغة التي يستعملها المؤلف ، ومن بعض العبارات التي وردت في كتابه انه اكثر ميلا الى اعتبار اليهود الاسرائيليين قومية في طور التكوين وان اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية لا بد من ان يأخذ بعين الاعتبار الخصائص القومية الاسرائيلية . على سبيل المثال يصف المؤلف هذه الدولة بأنها « علمانية ديمقراطية متعددة الاديان والاجناس والقوميات » (ص ٢٠١) . الا ان اعترافه بوجود القومية الاسرائيلية على هذا النحو يتعارض مع تلميحه السابق الى تصفية هذه القومية ، مما يبين مرة اخرى مدى التعثر الذي ما زال الفكر العربي الثوري يعاني منه بالنسبة لمعالجة هذه القضية الهامة على اسس واضحة ومنتظمة ومنسجمة مع نفسها . كذلك ان مقارنة أديب ديمتري الوجود الاسرائيلي « بمجتمعات المستوطنين العنصريين مجتمعات سيسيل رودس وامثاله » تعوزها الدقة لان استعمار سيسيل رودس خلق طبقة علوية من المستعمرين الاوروبيين التي تسيطر على سكان البلاد الاصليين وتستغلهم بشتى الوسائل كما تستغل موارد بلادهم ، بينما خلق الاستعمار الصهيوني الاجلائي مجتمعا اسرائيليا متكاملا بطبقاته الاجتماعية المعروفة ودولته القومية الحديثة بكافة مؤسساتها وادواتها، من هنا يصبح تشبيه اديب ديمتري لنمو القومية الاسرائيلية بعملية استعمار كندا واستراليا اقرب الى الواقع التاريخي من تشبيهه الاخر لها بالمستعمرين الاوروبيين على طريقة سيسيل رودس والجزائر مثلا مع فارق هام جدا هو ان الشعب الفلسطيني ما زال يناضل لاستعادة حقوقه القومية في أرضه التي اجلي عنها . لا شك ان كتاب اديب ديمتري قد قدم شيئا هاما بطرحه السؤال الجوهري حول القومية الاسرائيلية بهذه الصورة الصريحة والمفتوحة ، هذا بالرغم عن بعض اوجه القصور الكامنة في اجابته ومعالجته للموضوع .

ص٠ ج٠ ع٠